إن الجيل الجديد.. المتحرر من كل عقد ورواسب الماضي الإمامي والاستعماري والتشطيري هو قوة الحاضر وعماد المستقبل.

علي عبدالله صالح
رئيس الجمهورية

اللواء صلاح الدين المحرزي وكيل المخابرات المصرية السابق في حديث لـ«الثورة»:

زرت اليمن عام ٥٧ في مهمة عسكرية محدودة

حاوره في القاهرة/علي حسين العمار تصوير/أبو عبدالسلام

■ اللواء صلاح الدين المحرزي

■ ،، الإمام أحمدطلب من عبدالناصر إعداد جيش يمني حديث لطرد الانجليز من عدن هذه المرة لن يكون اللقاء مع شخصية مصرية ساهمت في دعم الثورة اليمنية بعد قيامها لكنها شخصية قدمت إلى اليمن قبل قيام الثورة بخمس سنوات وعايشت حكم الإمام أحمد عن كثب وعانت منه كما عانى الشعب اليمني وساهمت في تدريب أول فوج للإمام البدر مع البعثة المصرية في ١٩٥٧م وبعدها في تدريب الدفعتين الأولى والثانية من الكلية الحربية التي تكونت منها الطلائع الأولى للضباط الأحرار الذين اشعلوا شرارة الثورة اليمنية وأخمدوا حكم بيت حميد الذين إلى الأبد دون رجعة. إنه اللواء/ صلاح الدين المحرزي وكيل المخابرات العامة في مصر سابقاً الذي عاد مرة أخرى إلى اليمن بعد قيام الثورة لكنه هذه المرة ليقف جنبا إلى جنب مع الضباط الأحرار اليمنيين في خندق واحد للدفاع عن الثورة الأم.

لا أريد أن أسرد الكثير من الخبايا التي أفصح عنها اللواء المحرزي في الحوار الذي أجرته معه «الثورة» في القاهرة وسأدعه بنفسه يحكي للقارئ منذ الوهلة الأولى التي وطأت قدماه اليمن عام ١٩٥٧م وحتى آخر مهمة أوكلت إليه بعد قيام الثورة من خلال تفاصيل الحوار التالي:

● في البداية هل لكم أن تحدثونا عن أول مهمة أوكلت لكم في اليمن؟ ومتى كان ذلك؟

– أول مهمة أوكلت لي كانت في بداية عام ١٩٥٧م وعندما وصلت زعامة جمال عبدالناصر إلى الذروة خاصة على المستوى العربي، كنت في ذلك الوقت ضابطاً صغيراً في مدرسة المشاة التي عملت على تدريب ضباط القوات المسلحة المصرية وتحولت إلى وحدات فدائية خاصة خلال مقاومة العدوان الثلاثي على مصر «البريطاني- الفرنسي- الاسرائيلي». وقدمت أروع الأمثلة في البطولة والفداء.

وحرصاً من قيادة سلاح المشاة على مكافأتي لجهدي الكبير في تطوير الجندي المصري لاستخدام أسلحة المشاة الحديثة والمتطورة تم عرض السفر عليَّ إلى اليمن الشمالية آنذاك في مهمة خاصة بتنظيم وتدريب الجيش اليمني وكنت في ذلك الحين برتبة نقيب وقال لي أركان حرب القيادة العربية المشتركة العقيد الركن/ حافظ إسماعيل ستذهب إلى اليمن مع العقيد/ حسن فكري الحسيني وهو يعتبر رئيس البعثة لمدة شهرين لدراسة الموقف وتمهيداً لعودة البعثة المصرية التي لم تمكث سوى سنة واحدة وعادت إلى مصر دون أن تنجز أي مهمة حيث أن المسؤولين في صنعاء لم يمكنوهم من القيام بأي دور وقال لي المطوب منكم النجاح في اليمن وأنا على ثقة من نجاحكم وأضاف لنا عضوين آخرين لنصبح أربعة.

وقد توجهت رحلتنا إلى مطار الحديدة واستقبلنا جنود الإمام وتوجهنا إلى قصر الضيافة وانحصر نشاطنا في متابعة أخبار الإمام أحمد وما يدور في اليمن وكانت الاتصالات التليفونية والحركة في صنعاء ممنوعة إلا بإذن الإمام، أما الأمير البدر فحاول أن يمثل دور الرائد في الجيل الجديد لكن سلطاته كانت محدودة جدا وفي الحدود التي يسمح بها والده الإمام أحمد وكان يخشى قسوة والده حتى لو كان أقرب الناس إليه وكنت استقي هذه المعلومات من العقيد حجر مرافق البعثة.

مقابلة الإمام

● هل التقيتم بعد وصولكم إلى اليمن بالإمام أحمد؟ وكيف كان هذا اللقاء؟

– بعد جهود مكثفة وسرية التقى رئيس البعثة المصرية العقيد/ حسن فكري بالإمام أحمد في السخنة ونجح فعلاً في استحواذ ثقته ورضاه، وطلب الإمام من العقيد أن يبلغ تحياته للزعيم جمال عبدالناصر وحبه وتقديره ولخص الإمام طلباته من مصر في إعداد جيش يمني حديث لمحاربة الانجليز وطردهم من عدن واستأذن العقيد/ حسن الإمام أحمد لكي يعود إلى القاهرة لانتهاء مهمته الاستطلاعية بعد أن كان تقريرنا المقدم للقيادة العربية المشتركة أوصى بأهمية وضرورة الوجود المصري في اليمن عسكريا واقتصادياً وسياسياً.

● ذكرتم بأن المهمة الأولى كانت استطلاعية؟ ماذا عن المهمة الثانية؟

– مرة أخرى تم استدعاؤنا من العقيد حسن فكري بالاستعداد للسفر إلى اليمن، وفعلا غادرت البعثة مطار القاهرة متوجهة إلى اليمن عن طريق جدة السعودية، ووصلنا ميناء الحديدة وكان في استقبالنا العقيد حمود الجائفي مدير الميناء في ذلك الحين وانتقلنا إلى دار الضيافة للانتظار آوامر الإمام الذي أهمل تواجدنا وبعد هذا الانتظار الممل قمت أنا وأخي محمود عبدالسلام أحد أعضاء البعثة بالاتصال ببعض المسؤولين في الحديدة أمثال العقيد المرحوم/ حمود الجائفي وكذلك المقدم الرعيني رحمه الله والذي كان أحد تلامذة المناضل النقيب جمال جميل وكذلك تحدثنا في اجتماع ليلي مع مجموعة من الضباط اليمنيين مثل علي سيف الخولاني والشامي وغيرهم وكان حديثنا عن اليمن وثورة اليمن والظلم والجهل والفقر وكيفية التخلص منه.

بعد ذلك استدعى الإمام أحمد الأخ/ عبدالرحمن البيضاني الذي كان في المانيا الغربية وحضر بدورة دون أن يعلم أو يبدي له الإمام سبب الاستدعاء وزار البيضاني البعثة المصرية ويوم بعد يوم أصبحنا أصدقاء وبانتهاء الصيف وشعورنا بالملل في الحديدة يأتينا الفرج من الإمام بالتحرك الكامل للبعثة فوراً إلى قرية الزبيدة شمال الحديدة بحوالي ٤٠كم لنبدأ بتدريب وتنظيم الجيش اليمني بعيداً عن أعين الناس وجواسيس الانجليز وهذا المكان يعتبر منفى والعيش فيه لا يطاق وهي خطة من الإمام لكي تغادر البعثة العسكرية المصرية لوحشة المكان ولكن أعضاء البعثة فهموا ذلك وقالوا نصبر ولا نغادر ونشعر الإمام بولائنا له حتى نكسب تأييده ورضاه وفعلا رفعنا للإمام برقية شكر على حسن استضافته لنا وكرمه في بلدنا الثاني اليمن السعيد.

وبدأت مهمتنا في تدريب الجيش اليمني الحديث بعدها طلب الإمام رئيس البعثة المصرية لمقابلته في تعز وعاد الرئيس إلينا من تعز بقرار الإمام وهو الانتقال من الزبيدة إلى مدينة عمران حيث توجهنا إلى صنعاء ومنها رحلنا إلى مدينة عمران وقابلنا في صنعاء العقيد/ عبدالله السلال وقال لنا بأن ولي العهد البدر اقنع والده بأن يكون مقر البعثة ونشاطها التعليمي في صنعاء لا عمران.

تدريب فوج البدر

● بعد موافقة الإمام ببقاء البعثة في صنعاء ما هو الدور الذي قمتم به في صنعاء؟

– بعد استقرارنا في صنعاء بدأنا بتدريب الجيش اليمني وعرضنا على البدر أن ندرب ما كان يسمى بفوج البدر لكي نجعل منه نواة الجيش اليمني الحديث، وعين البدر مجموعة من الضباط اليمنيين الذين كانوا محل ثقته لتولي قيادة سرايا هذا الفوج واستطعت بأن أكسب تأييد وثقة هؤلاء الضباط عن طريق المحاضرات وبعيداً عن أعين وجواسيس البدر وكان هؤلاء الضباط عند حسن الظن ومثال للكفاح من أجل حرية واستقلال الوطن وبحكم الحب والود المتبادل بين الضباط والجنود ككل داخل هذا الفوج تحولت هذه العلاقة إلى وحدة تورية وطنية واعية كما نجحت البعثة في اقناع الإمام بتشجيع البدر بزيادة نشاط البعثة واستقبال الجنود الجدد وتدريبهم وانتظم العمل في مركز التدريب وكان فوج البدر المثل الأعلى أمام ضباط وجنود هذا المركز.

ومع الأيام أعدت البعثة حفلاً عسكرياً بمناسبة انتهاء الدورة الأولى للتدريب وتم عرض الجنود واستخدامهم للأسلحة الحديثة الصغيرة والمدفعية وكان ذلك مثار إعجاب الحاضرين وكان مستواهم لا يقل عن مستوى فوج البدر وهذا قرب العلاقة وازداد تعلق الضباط والجنود اليمنيين بأفراد البعثة العسكرية المصرية.

وقامت البعثة باقناع البدر بإنشاء الكلية الحربية وذلك لحاجة الجيش للضباط الملازمين وكذا وحدة الإمداد بضباط الصف من رتبة العريف لكي تكتمل المقومات الضرورية للجيش اليمني فرفض الإمام الفكرة في بدايتها وعاتب ولي عهده على ذلك خاصة بالنسبة للكلية الحربية وذكره بما تم من طلبة الكلية الحربية على يد الضابط العراقي جمال جميل.

إنشاء الكلية الحربية

● هل تمت المحاولة مرة أخرى لإقناع الإمام بإنشاء الكلية الحربية؟ وكيف تم ذلك؟

– لم تيأس البعثة بل الحت على الإمام بطلبها وأنها ستعمل على ادخال أبناءالمشائخ ومن يريدهم الإمام في هذه الكلية بعد ذلك وافق الإمام على إعادة فتح مدرسة الكلية الحربية اليمنية المتوكلية وأصدر أوامره إلى ابنه البدر أن يتولى الإشراف عليها ويتحمل مسؤوليتها وترشيح الدارسين فيها.

● كيف تم اختيار الدارسين؟ ومن من الضباط الذين تتذكرهم من الدفعة الأولى؟

– كان على البعثة المصرية اختيار اللائقين من هؤلاء الطلاب ووضعت البعثة اعينها على طلاب المدرسة الثانوية والتي كان يتولى التدريس فيها مدرسون مصريون وكانوا بحق مثالاً للوطنية والقومية وكان المدرسون عونا للبعثة في إمدادنا بالمعلومات بمن يصلح علما وخلقا وذكاء شريطة أن تنطبق عليهم شروط الاختيار التي وضعتها البعثة حتى لا يكون هناك مجال للشك.

وراعت البعثة زيادة الطلاب من أبناء المشائخ الذين تريدهم الأسرة الحاكمة بالإضافة إلى وجود نسبة بسيطة من الأسر المتوسطة الذين يتميزون بقوة الشخصية والذكاء والقدرة على القيادة.

وكان على البعثة أن تزيل الفوارق النفسية والأسرية والقبلية بين هؤلاء الشباب حتى يتحابوا فيما بينهم حتى جاء وقت التخرج واستقبال دفعة ثانية والتي راعت فيها البعثة أن يكون معهما من أبناء القبائل والطبقات المتوسطة وهكذا بدأنا التدريب معهم ولاقينا الكثير من العراقيل من أجل ذلك.

● كم الفترة التي استمريتم فيها لتدريس وتدريب طلاب الكلية الحربية في اليمن؟

– استمريت على هذا الحال فترة ليست بقصيرة حتى تم استدعائي من القاهرة وانهاء خدمتي في اليمن وأساعني هذا الخبر لم يستمر طويلاً بسبب خلاف أدى إلى عودة البعثة إلى مصر ولكن اتصالاتي بطلابي من الكلية الحربية لم تنقطع نهائيا.

الشرارة الأولى للثورة

● ذكرت بأنك كنت تتواصل مع طلاب الكلية الحربية في اليمن فكيف كان يتم التواصل معهم؟ هل عدت مرة أخرى إلى اليمن؟

– الحقيقة أن هاجسي وخيالي كانا دائماً في اليمن وما يدور فيها وكان الاتصال محدود مع مصر إلا عن طريق السيد عبدالواحد أحد أعضاء السفارة المصرية.. وكانت تلك الأيام وأنا في مصر بداية التحرك الإيجابي للملازم علي عبدالمغني في تنظيم الضباط الأحرار وامكانية السيطرة والحركة في المدن اليمنية الرئيسية الثلاث «صنعاء، تعز، الحديدة» والربط بينه وبين الأحرار والمدنيين والمشائخ خاصة الشيخ عبدالله بن حسين الأحمر والشيخ سنان أبو لحوم.

وبدأت الشرارة الأولى للثورة بمحاولة فاشلة لاغتيال البدر في صنعاء عن طريق الملازم السكري وهو أحد ضباط فوج البدر ثم اعقبها حادثة إطلاق الرصاص على الإمام نفسه في الحديدة.

وبعد ذلك قرر علي عبدالمغني وباقي الفصائل الثورية أن الإمام البدر مثله مثل الإمام أحمد وأن أي إمام من بيت حميد الدين لن يكون إلا سوطا يلهب ظهور أهل اليمن بالظلم والعبودية ولا بد من التخلص من هذه الأسرة قبل أن تستتب الأمور للبدر وعمة الحسن وقرروا إطلاق شرارة الثورة وإعلانها يوم الخميس في الـ٢٦ من سبتمبر ١٩٦٢م، بعد توزيع الأدوار على ضباط الكلية الحربية ومدرسة الأسلحة وفوج البدر وقاد عبدالله جزيلان وعلي عبدالمغني الهجوم على قصر البدر وعرض علي العقيد عبدالله السلال والعقيد حمود الجائفي قيادة الثورة وانتشر أبناء الثورة من مختلف المحافظات وقرر الإمام البدر الهروب من صنعاء إلى حجة ومنها إلى حدود السعودية وتصدر السلال قيادة الثورة وأعلن في وسائل الإعلام زعيما وقائدا لأول جمهورية في اليمن.

وكان قرار عبد الناصر بدعم ثورة اليمن بطلائع من القوات المصرية والدعم الإعلامي وهو قرار مناسب لتصبح الثورة اليمنية ضربة للرجعية في الجزيرة العربية وكذلك دعما للثورة الناصرية لمواجهة الانفصال مع سوريا وتعزيز القوة والارادة أمام الغرب والشرق وشاءت الأقدار أن يستشهد الملازم/ علي عبدالمغني في الأشهر الأولى من قيام الثورة وهو القائد الفعلي والغائب عن الأنصاف.

القوة الضاربة في اليمن

● كيف عدت مرة ثالثة إلى اليمن ومتى كان ذلك؟ وما الدور الذي قمت به في هذه المرة خاصة وقد أعلن عن قيام الثورة اليمنية ؟

– حاولت في بداية قيام الثورة أن أوجه المسؤولين في القاهرة بتقرير عن اليمن من خلال زيارتي لها بالصورة الحقيقية لحجم الثورة وأين يكمن قوتها وقادتها الحقيقيين والقوة الضاربة الرئيسية الأولى في اليمن لحسم الأمور هي قوة القبائل والتي تعد أقوى من القوات المسلحة في اليمن والتي سبق لها وأن انقذت الإمام أحمد في ثورتي ١٩٤٨م ١٩٥٥م ولا ننسى أنها أفنت أربع فرق من الجيش التركي وفتكوا بالعثمانيين وجعلوهم في المدن فقط.

وهذا هو الدرس الذي لم تستوعبه القوات المصرية عند دعمها ومساندتها لثورة اليمن.

وكنت قد قدمت اقتراحي للقيادة المصرية أن نترك مسؤولية الثورة اليمنية لثوار اليمن أنفسهم يواجهون بعضهم البعض حتى تتاح الفرصة لظهور القيادات القوية القادرة على إدارة البلاد وعلى مصر أن تكتفي بالدعم المادي والمعنوي بكل اشكاله لأن الثورة لا تنجح إلا بدماء ثوارها وقاداتها واختلاط دماء أبنائها وللأسف.

وفي يوم من الأيام وأنا في بيتي إذا بأحد ضباط الشرطة العسكرية يطرق الباب وبفاجأني بطلب رئيس الاركان السيد المشير/ عبدالحكيم عامر بمقابلته وأنه أمر بسفري إلى صنعاء في نفس الليلة ثم توجهت إلى اليمن وفي الصباح كنت في صنعاء حيث قابلت رئيس الاركان هناك في مقر القيادة العربية المشتركة في صنعاء وقال لي أنا لست على معرفة كاملة بك ولكن ثقتي في نجاحك كبيرة وقال إن الكتيبة (١٤) تمردت في الجبل الاسود في خولان وأنه قد عزل قائدها وثلاثة من ضباطها وأودعهم السجن بعد ترحيلهم إلى القاهرة وأنه قد عينني قائدا لهذه الكتيبة المتمرده

وغادرت في نفس اليوم بطائرة هيلوكبتر من صنعاء إلى موقعي في الجبل الأسود وما أن وصلنا إلى الموقع حتى انهال علينا وابل من الرصاص من إحدى التلال فتحركت الطائرة سريعا لتفادي هذه النيران وهكذا اختلطت الأمور وتعددت المعارك وإتسع نطاقها لتشمل كل أنحاء اليمن.

معركة الجبل الأسود

وبعد وصولي إلى مقر قيادة الجبل الأسود أذهلني ما رأيت فقد رأيت جثثا كثيرة لجنودنا وفي إنفعال صرخت في وجه الرائد/ يوسف شعير ما هذا يايوسف؟

فرد في حزن وألم كمين وقعت فيه قواتنا من ثلاثة أيام من قبل الشيخ الغادر ورجال القبائل وصعدت إلى مقر القيادة فوجدت ماتبقى من الضباط والصف والجنود وهم في حالة ذعر يرثى لها يركزون بأبصارهم نحوي وجلست بينهم وتركت لهم الفرصة ليبدأوا بالكلام أولاً وتكلموا جميعا معي في منتهى الشجاعة والمصداقية فلم اجد ما ينطق به لساني لهم سوى تشجيعهم ورفع معنوياتهم وأن علينا احترام الرجولة والواجب العسكري الذي أتينا من أجله والقتال واجب والتقاعس والهروب جبن وخيانة.. الخ.

والحمد لله بدأت هذه الكلمات بانعاش الروح المعنوية والقتالية لهذه الكتيبة حتى أصبحت كأسرة واحدة ثم بدأت باستطلاع قتالي ودارت المعارك في الجبل الأسود وجبل البياض بين قواتنا والملكيين وفي ليلة من ليالي رمضان أستولينا على كل مواقع آبار المياه فتوقعنا رد فعل انتقامية ووضعنا لهم كمين ففروا هاربين ونجحنا في اكتشاف مؤامراتهم وجواسيسهم والذين أوهمونا بأنهم معنا ومضت الأيام وانهالت علينا التهاني بنجاح مهمتي وهكذا انتهت عملية الجبل الأسود وفتحت الطريق وعدنا إلى صنعاء حيث مقر القوات المصرية.

جبهات متعددة

● بعد وصولكم إلى صنعاء هل كانت هناك عمليات أخرى قمتم بها غير عملية الجبل الأسود؟

– تزايدت عمليات الإمداد بالأسلحة المختلفة إلى قوات القبائل المتمردة عن طريق نجران والتي تحولت إلى قاعدة إمداد ضخمة ومعسكر لتدريب قوات الإمام البدر وعمه الحسن وكذا من ولاية بيحان إلى قبائل خولان وعبيدة حول مأرب عن طريق بريطانيا التي كانت تسيطر على محميات وجنوب اليمن آنذاك والتهبت المعارك مرة أخرى ضد قوات الجمهورية في كافة المحاور خاصة باتجاة قبائل همدان فكان على القوات اليمنية والمصرية حماية الجمهورية فاتجهت قواتنا إلى الشمال الغربي باتجاه الأزرقين ووادي زهر في همدان فكانت معركة عنيفة خاصة في وادي زهر واستطعنا بعد أيام من القتال الشرس السيطرة على الوادي بالتعاون مع بعض القبائل الذين أعلنوا ولاءهم للجمهورية وبعد السيطرة تم الاجتماع بالمشائخ الذين كان لهم دور في الانتصار وتم الاتفاق على أن يذهبوا إلى صنعاء لمقابلة الرئيس السلال لتقدير موقفهم وواجهنا كذلك مصاعب في بني بهلول والتي استمر فيها القتال يوم كامل ولكننا نجحنا في مقاومة الملكيين وهناك أماكن أخرى قاتلنا فيها لايتسع الوقت لذكرها جميعا مثل معارك دارت في حرض ومناطق الحدود اليمنية السعودية.

إنشقاق بين الجمهوريين

● من خلال تجربتك في اليمن قبل وبعد قيام الثورة ماهي الأشياء السلبية أو الإيجابية التي لاحظتها أثناء تواجدك في اليمن ؟

– ملاحظته هو أن هناك اغفالا لبعض الثوار الحقيقيين من وجهة نظري ولا أريد أن أذكر أسماء حتى لايتحسس البعض مني لأنه حصلت الكثير من المشاكل بين الجمهوريين أنفسهم وانقسموا إلى قسمين قسم مع الرئيس السلال وقسم آخر مع بعض الضباط الأحرار من خريجي الكلية الحربية الدفعة الاولى والثانية مما أدى إلى ظهور كثير من المشاكل في اليمن وكادت قبائل حاشد وعلى رأسهم الشيخ عبدالله الاحمر مع مجموعة من الضباط الأحرار أن تعلن انسحابها من دعم الجمهورية وقمت بزيارة لمنطقة عمران ومعي رسالة من السلال ومن قائد القوات المصرية في صنعاء للشيخ الأحمر وتم التصالح وعودة الشيخ الاحمر وانصاره من قبائل حاشد وبعض الثوار إلى صنعاء من أجل دعم الجمهورية .

وتقرر بعد ذلك سحب كافة قواتنا من اليمن في عام ١٩٦٧م على الرغم من رفض بعض القيادات اليمنية لهذا الانسحاب لكن الظروف أجبرتنا على ذلك وفي تلك الفترة حدثت مشكلة بين قوات الأمن المركزي اليمنية والقوات المصرية كادت أن تحدث كارثة كبيرة لولا حكمة السيد طلعت حسن والمشير السلال اللذين أوقفا هذه المشكلة على الفور بعد مقتل ١١شخصا من القوات المصرية .

● في الأخير كيف يقيم اللواء صلاح الدين المحرزي العلاقات اليمنية المصرية ؟

الحقيقة بأن العلاقات اليمنية المصرية تاريخية وتعمدت أكثر بالدم على أرض الواقع في اليمن حيث امتزج الدم اليمني بالدم المصري حفاظا على الثورة اليمنية الأم. لكني أرى أنها في الوقت الحاضر يجب أن تكون أفضل مما هي عليه وأتمنى أن تصل هذه العلاقة إلى أعلى مستوياتها.

بدأت المهمة بسرية في الزيدية والاتصالات في صنعاء ممنوعة

تابعت باهتمام تحركات الضباط الأحرار للسيطرة على صنعاء وتعز والحديدة

الشهيد علي عبدالمغني القائد الفعلي لثورة ٢٦ سبتمبر والغائب عن الانصاف

اقترحت على القيادة المصرية دعم اليمن.. وترك مسؤولية الثورة لأبنائها.. ولكن